المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية

أ.د. عفاف إبراهيم الدباغ

تحاول الخدمة الاجتماعية في الآونة الأخيرة أن توجه الهدف من أنشطتها إلى مشكلات الفرد الاجتماعية ، ذات الصلة بتفاعله مع الآخرين في المواقف المختلفة ، حتى يمكن الفصل بينها وبين المهن الأخرى التي تهتم بمشكلات الفرد ذات الصبغة الذاتية ، إلا أن الهدف القائم لمعظم الأنشطة المهنية – في المجتمعات الغربية وغيرها – ما زال يركز على أحداث تغيير في الشخصية والسلوك . ولذلك يحتفظ مفهوم المشكلات الفردية بأهميته البالغة في ممارسة الخدمة الاجتماعية حتى وقتنا الحاضر .

وعلى الرغم من تعدد واختلاف المشكلات التي يتعين على الأخصائي الاجتماعي أن يتعامل معها ، وتداخل العوامل المسببة لها ، إلا أنه من الضروري أن تعتمد ممارسة المهنة على قاعدة معرفية أساسية واحدة لفهم الدوافع والعلاقات الإنسانية ، ومن ثَمَّ تفسير المشكلات بناءً على ذلك .

ولا شك أن المشكلات الفردية تؤثر وتتأثر بالمشكلات الاجتماعية ، بل قد تعتبر جزءًا منها ، إلا أن وضع تصور نظري يفسرها كوحدة واحدة ، يعتبر عملًا شاقًّا ومعقدًا ، لم تنجح العلوم الإنسانية حتى الآن في الوصول إليه . وعليه يصبح النظر إلى تفسير كل منها على حدة أمرًا مقبولًا ، خاصة ونحن في أولى مراحل التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية .

ويهدف هذا البحث إلى الإسهام في الكشف عن بعض الأسس الإسلامية التي يمكن تفسير المشكلات الفردية في ضوئها . محاولًا – بقدر المستطاع – الالتزام بمنهج التأصيل الإسلامي الذي يعمل على استخلاص الأصول الإسلامية من القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، وتراث السلف ، مع الاستفادة من أفضل ما توصلت إليه العلوم الإنسانية .

ويلاحظ أن البحث قد توجه نحو التركيز على العوامل التي يمكن أن يعتبرها القارئ ذاتية خاصة بالفرد صاحب المشكلة ، إلا أن هذا التوجه لم يكن مخططًا له ، ولكنه جاء نتيجة تلقائية تظهر طبيعة المعلومات المتوافرة في المصادر الإسلامية ونوعيتها .

المنظور الغربي للمشكلات الفردية

تعريف المشكلة :

تنوعت تعريفات « المشكلة » تبعًا لتنوع وجهات النظر العلمية ، فمن وجهة النظر النفسية ، عَّرف أحمد عزت راجح المشكلة بأنها : « كل موقف غير معهود لا تكفي لحله الخبرات السابقة والسلوك المألوف » (١) . وعَّرفها أحمد زكي بدوي من وجهة النظر الاجتماعية ... بقوله : « إنها ظاهرة تتكون من عدة أحداث أو وقائع متشابكة وممتزجة بعضها ببعض لفترة من الوقت ويكتنفها الغموض واللبس ، تواجه الفرد أو الجماعة ويصعب حلها قبل معرفة أسبابها والظروف المحيطة بها وتحليلها للوصول إلى اتخاذ قرار بشأنها » (٢) . ويفرق رايت ميلز (Wright Mills) بين المشكلات الشخصية (Personal Troubles) والقضايا العامة (Public Issues) قائلًا : « أن المشكلات تظهر في شخصية الفرد وفي علاقاته المباشرة مع الآخرين ، فهي تتعلق بنفسه وبالحياة الاجتماعية المحدودة التي يدركها هو شخصيًا ، وهي أمر خاص يجعل الفرد يشعر بتهديد موجه للقيم التي يعتز بها » (٣) . كما تصف هيلين نورثن (Helen Northen) المشكلات التي يتقدم بها العملاء إلى الأخصائي الاجتماعي ، طالبين المساعدة في حلها ، بأنها : « أوضاع أو مواقف محيرة ، أو صعبة أو غير مرغوب فيها . وهي تمد الأخصائي بنقطة البداية في عملية تقدير حاجات العميل » (٤) .

هذا ويربط كثير من علماء النفس والتربية المشكلات الشخصية بالحاجات الإنسانية ، وبمقدرة الشخص على التوافق ، فقد وصف جيمس كولمان (James C. Colemon) الحياة بأنها : « عمليات توافق مستمرة ، يكافح فيها الناس لمقابلة حاجاتهم ، وبقاء علاقات منسجمة مع بيئاتهم ، وعندما يتعامل الفرد بفاعلية مع مشكلاته يوصف بأنه في حالة توافق جيد ، حيث يتكيف بنجاح مع الضغوط الداخلية والخارجية الموضوعة عليه ؛

---

(١) أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، (ط٧) ، القاهرة ، دار الكتاب العربي (١٩٦٨م) ، (ص ٢٨٩) .

(٢) أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، (١٩٧٧م) ، (ص٣٢٧) .

(٣) Allen Pincus and Anne Minahann, Social Work Practice Model & Method, 12 th, Printing Itasa, lllinois F.E. Peacock Publishers, Inc, (1980), p. (13).

(٤) Hellen Northen , ‘‘Assessment in Direct Practice’’ Encyclopedia of Social Work 18 th ed. Maryland, National Association of Social Workers, (1987) , Vol . 1, P. (162).

أما حين تكون المشكلة أكبر منه ، ويظهر عليه القلق ، وعدم الكفاءة، وعدم السعادة ، أو أعراض أخرى أخطر من تلك ، فيوصف بأنه في حالة سوء توافق » [١] .

تفسير المشكلات الفردية في مداخل ممارسة الخدمة الاجتماعية :

لقد استمدت الخدمة الاجتماعية تفسيرها للمشكلات الفردية من النظريات النفسية والاجتماعية المتوافرة ، ولذلك نجد العديد من مداخل الممارسة قد اختلفت مواقفها من ذلك باختلاف توجهها النظري . ويمكن تصنيف هذه التوجهات حسب منطلقاتها الأساسية إلى ثلاث فئات : فئة تفسر المشكلات على أساس ترجيح العوامل الفردية ، وأخرى ترجح العوامل الاجتماعية ، وثالثة تجمع بين الاثنين في إطار تكاملي .

وفيما يلي تعريف موجز بكل فئة وأمثلة لها .

الفئة الأولى

وهي التي أخذت بالتفسير الفردي ، ومنها :

١ – **مدخل التحليل النفسي** (Psychoanagytic Approach) :

اعتمد في تفسيره للمشكلات الفردية على مفاهيم نظرية فرويد المعروفة والمكونات الشعورية واللاشعورية . وهذا المدخل يرجع ما يقابل الناس من صعوبات أو مشكلات إلى ما يحدث من إعاقة ونكوص في عمليات النمو ، عندما لا تبني مكونات الشخصية (الأنا الدنيا – الأنا – الأنا العليا) البناء السليم فينتج صراع بين هذه المكونات وتظهر الحيل الدفاعية اللاشعورية – مثل الإسقاط والتحويل – بحيث تتحكم في الأداء الوظيفي للفرد [٢] .

٢ – **مدخل سيكولوجية الذات** (Ego - Psychology) :

ينظر إلى المشكلة التي تواجه الفرد على أنها مشكلة نفسية – اجتماعية ، فالإنسان يمثل المنطقة التي ترتبط بالواقع ، وتتوقف قوة الذات على مدى إدراكها لهذا الواقع الذي يمثل الجوانب الاجتماعية للفرد والبيئة التي يعيش فيها ؛ لذلك يتم فهم الإنسان ومشكلته في ضوء تفاعل العوامل البيئية الخارجية بالعوامل الذاتية [٣] .

---

(١) James W.Cogeman and Donald R.Cressey, Social Problems, 3rd Ed. New York. Harper & Row Pubishers, Inc , (1987) , P . (143).

(٢) Max Siporin, Introduction to Social Work Practice, New York; Macmillan Publishing Co, Inc , (1976) , P . (143).

(٣) Sidney L.Wasserman, ‘‘Ego Psychology’’ Social work Treatment, Ed. By Francis J.Turner. New York. Macmillan Publishing Co, Inc, (1974), P. (50).

غير أن المقارنة بين هذا المدخل والمداخل التي ركزت على العوامل البيئية ، تظهر تركيز هذا المدخل على العوامل النفسية وإرجاعه القصور الذي يحدث في الأداء الوظيفي للفرد عند تفاعله مع البيئة إلى وظائف الذات (الإدراك - الإحساس - التفكير - التنفيذ) فهي التي تعمل على توازن شخصية العميل .

٣ - **المدخل الوظيفي أو النظرية الوظيفية** (Functional Throry) :

يرجع السبب في حدوث المشكلة إلى عطل أو ضعف في إرادة الإنسان أثناء موقف معين ، يرجع غالبًا إلى التجارب السلبية في علاقات الفرد المبكرة ، خاصة علاقاته الحيوية مثل علاقاته بوالديه ، مما يجعل إرادته ترفض عملية الانفصال الضرورية للنمو ، ولذلك ينظر إلى المشكلة على أنها أزمة نمو ، فالإنسان منذ تجربة الانفصال الأولى (Birth Trauma) يمر بتجارب مؤلمة من الانفصال والاتصال ، والبداية والنهاية فهو يدخل في علاقات متكررة مع الآخرين يتصل بهم ، ثم ينفصل عنهم . وانطلاقًا من هذه القاعدة جاءت النظرية بمفاهيم منها : الإرادة المضادة (Counterwill) ، والصراع (Conflict) ، والمقاومة (Resistance) التي تراها حيوية وضرورية لنمو الإنسان [١] .

٤ - **المدخل الوجودي** (Existential Approach) ، **والمدخل المعرفي** (Cognitive Approach) :

تقع النظرية الوجودية تحت التصنيف المعرفي ؛ لذلك نجد هذا المدخل يتفق إلى حدٍّ كبير مع المدخل المعرفي في تفسيره للمشكلات ، فالمدخل الوجودي يحلل المشكلة في ضوء المعتقدات والقيم التي يعتنقها الفرد ، وهدفه في الحياة ونظرته إلى نفسه [٢] . والمدخل المعرفي يفسر المشكلة في ضوء الأهداف التي توجه الفرد ، ومدى إدراكه للحقيقة وأسلوبه في الحياة [٣] .

الفئة الثانية

وهي التي أخذت بالتفسير الاجتماعي والبيئي ومنها :

١ - **المدخل السلوكي** (Behavioral Approach) :

---

(١) Shankar A.Yelaja , Functinal Theory for Social Work Practice , Social Work Treatment 3 .rd Ed, . By Francis J.Turner, New York, Macmillan Pubgishing Co, (1986) ,P. (55-56).

(٢) Max Siporin, Op.cit,. P, (144).

(٣) Harild D.Werner "Cognitive Theory" Social Work Treatment, 3rd Ed,. op.cit, . P . (115).

ولقد أطلق سيبورين (Siporin) على هذا المدخل اسم « المدخل السلوكي الاجتماعي » (Sociobehavioral Approach) ؛ نظرًا لأنه يعتمد على نظريات التعلم وتعديل السلوك ونظريات التنشئة الاجتماعية [١] . ويربط هذا المدخل وجود المشكلة الفردية بأحد أو بعض أو كل العوامل التالية :

أ – عدم قدرة المثيرات القائمة على إحداث الاستجابة المطلوبة .

ب – وجود مثيرات من شأنها إحداث استجابات مشكلة .

جـ – وجود نقص في الأدلة التي تساعد على التمييز .

د – تدعيم نتائج السلوك المشكل .

هـ – عدم كفاية تدعيم السلوك السوي .

و – وجود وقائع عقابية تكف السلوك السوي [٢] .

٢ – **مدخل الإمدادات الاجتماعية** (Social Provision Approach) :

ينظر هذا المدخل إلى الفرد بصفته مواطنًا له احتياجات يجب إشباعها من قبل النظم الاجتماعية المختلفة ، ولذلك يركز على الحقوق الاجتماعية والمساواة . ويرجع أسباب المشكلات التي يعاني منها الناس إلى سوء الأداء الوظيفي للبناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية ، خاصة نظام الرعاية الاجتماعية والمتمثل في عدم توفير الموارد الكافية وعدم إعطاء فرص متكافئة للمعيشة على مستوى مناسب . ولقد وصف هذا المدخل بأنه حركة اجتماعية ضد الفقر ، وقدم لوتز (Lutz) هذا المدخل كنموذج للمساعدة في خدمة الفرد ، بينما قدمه بابل روثمان (Papell Rothman) باسم نموذج الأهداف الاجتماعية في خدمة الجماعة . وهو منظور تقليدي في حركة تنظيم المجتمع ، للإبقاء على التكيف الفعال بين مصادر الرعاية الاجتماعية وبين احتياجاتها [٣] .

٣ – **المدخل الإيكولوجي** «Ecologica Systems Approach » :

يعتمد هذا المدخل على مزيج من نظرية الأنساق الاجتماعية ، ونظرية الأنساق العامة ، والنظريات الإيكولوجية الإنسانية وهو ينظر للمشكلات على أنها تظهر نتيجة

---

(١) Max Siporiñ op. cit, . p. (145).

(٢) عبد العزيز فهمي إبراهيم النوحي ، نظريات خدمة الفرد ، (ط٢) ، بدون دار للنشر ، (١٩٨٣م) ، (ص ٥٩ – ٦١) .

(٣) Max Siporiñ op. cit, . p. (139 - 141).

للعمليات الانتقالية التي تحدث للفرد أثناء حياته ، ولعمليات التفاعل بين الأفراد ، كما ترجع إلى بعض القضايا البيئية [١] .

الفئة الثالثة

هي التي أخذت بالاتجاه التكاملي ومن أهمها وأكثرها انتشارًا ؛ المدخل النفسي الاجتماعي (Psychosocial) . وهو يميل إلى إرجاع المشكلة إلى تفاعل العديد من العوامل المادية ، والجسمية ، والبيولوجية ، والشخصية ، مع العوامل البيئية المختلفة . ولذلك تسعى الممارسة القائمة على هذا الاتجاه إلى فهم متكامل للفرد في مواقفه النفسية الاجتماعية كي تستطيع تقديم أفضل مساعدة له لاستغلال طاقاته بطريقة مرضية [٢] .

وعلى الرغم من وجود أكثر من اثنين وعشرين مدخلًا أو نظامًا فكريًّا – كما يسميها تيرنر (Turner) – لممارسة الخدمة الاجتماعية تختلف فيما بينها بدرجات متباينة ، فإن هناك إدراكًا متزايدًا واتفاقًا على أهمية التركيز على الموقف النفسي الاجتماعي للعميل (Psychosocial Situation) أكثر من التركيز على الوظائف الداخلية له (Inner-Functioning) ، وأهمية فهم الموقف الحالي للعميل بدلًا من الرجوع إلى تفاصيل مطولة لماضيه . كذلك فإن الاتفاق يفوق الاختلاف فيما يختص بأهمية العناصر المميزة لبيئة العميل وتداخلها [٣] .

أنواع المشكلات الفردية :

تصنف بيرلمان (Perlman) ، أهم المشكلات التي تواجه عملاء الخدمة الاجتماعية والمتعلقة بأدائهم لأدوارهم إلى :

١ – ضعف الوسائل المادية الملموسة أو عجزها ، وضعف في القدرات الشخصية يحد من أداء الدور ، وضعف في المعلومات والاستخدامات .

٢ – اضطراب الشخصية ، والضعف العقلي .

---

(١) Carel B.Germain , Introduction : Ecology and Social Work, "Social Work Practice, People and Environments, Ed, By Carel B.Germain , New York, Columbia University Press, (1979), p (18).

(٢) Francis J.Turner, "Psychosocial Theory", Social Work Treatment,3 rd,ed., op. cit,. p. (486).

(٣) Francis J.Turner? " A Multitheory Perspective for Practice" Social Work Treatment 3rd. Ed. Op. cit, p. (646 - 647).

٣ – التناقضات التي توجد في الدور ، وتشمل التعارض بين عدة أدوار ، والتعارض بين توقعات الفرد والآخرين ، أو بين الاحتياجات الشخصية ومتطلبات الدور : أو التعارض الناتج عن غموض تعريفات الدور وتناقضها .

كما صنف ريد (Reid) المشكلات التي يتعامل معها الأخصائي الاجتماعي كما يلي : صراعات بين الأشخاص ، وعدم الرضا في العلاقات الاجتماعية ، ومشكلات مع المؤسسات الرسمية ، وصعوبات في أداء الدور ، ومشكلات خاصة بالقرارات ، ورد فعل للضغوط الانفعالية ، ونقص الموارد ، ومشكلات نفسية أو اجتماعية أو سلوكية أخرى مما لم ترد في الأنواع السابقة . والتعريف المأخوذ به هنا للمشكلات هو : أنها رغبات غير مشبعة [١] .

يلاحظ مما سبق أن المنظور الغربي وإن كان قد أرجع حدوث المشكلات الفردية إلى العديد من العوامل ، إلا أنه أكد على العلاقة الطردية بين المشكلات والنقص في إشباع الحاجات الإنسانية ؛ ولذلك لا بد من عرض مفهوم الحاجات الإنسانية في النظريات الغربية ، ثم محاولة اكتشاف التصور الإسلامي لهذه الحاجات حتى يكون مدخلًا لتفسير المشكلات الفردية من المنظور الإسلامي .

الحاجات الإنسانية في العلوم الاجتماعية

مفهوم الحاجة (Need) :

اختلفت تعريفات الحاجة باختلاف العلوم المعرفة لها ، ففي علم النفس نظر إلى الحاجة على أنها مفهوم فرضي ، أي حالة مجردة أو فرضية ، ولكنه يرتبط بالعمليات الفسيولوجية الكامنة في الدماغ . ويرى (موراي) أن الحاجات إما أن تستثار داخليًا ، أو أن تأخذ في التحرك نتيجة لتنبيه خارجي . وفي أي من الحالتين تؤدي الحاجة إلى نشاط من جانب الكائن ، يستمر حتى يتغير موقف الكائن – البيئة بحيث تقل الحاجة ، فالحاجة مفهوم دافعي يماثل الاصطلاحات الأخرى كالدافع أو الرغبة أو الباعث أو المحرك [٢] .

وفي مجال السياسة الاجتماعية ظهر مفهوم الحاجات الأساسية (Basic Needs) وقسمت الحاجات الإنسانية الأساسية إلى نوعين :

---

(١) Hellen Northen, op. cit,. p . (173) .

(٢) ك . هول ، ج ، لندزي ، نظريات الشخصية : ترجمة ؛ فرج أحمد فرج ، وقدري محمود حنفي ، ولطفي محمد فطيم ، بدون دار للنشر ، (١٩٦٩م) ، (ص ٢٣١ – ٣٠١) .

الأول : الحاجات المادية (Material Needs) الضرورية لبقاء الإنسان على قيد الحياة مثل : الطعام ، المسكن ، الملبس ، سهولة التوصل للماء ، الصحة والأحوال المفضية إليها .

والثاني : الحاجات غير المادية : (Non Material) مثل : التعليم ، الحقوق الإنسانية الأساسية بمعناها الواسع الذي يشمل مثلًا الحق في العمل ، والحق في الاشتراك في إصدار القرارات السياسية والمشاركة في الحياة الثقافية القومية [١] .

ويعتبر تعريف الحاجة من المشكلات التي تتحدى البحوث في هذا المجال والتي لم تحل إلى الآن ، والحقيقة المهمة التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند محاولة تعريف الحاجات هي أنها – أي الحاجات – عبارة عن أبنية نظرية (Theoretical Constructs) ولذلك فإنه لا يمكن إثبات وجودها بالطرق الفيزيائية المباشرة [٢] . والحكم على شخص ما أنه في حاجة إلى أشياء ضرورية لن يكون حكمًا قائمًا على حقيقة موضوعية ، ولكنه سيكون وجهة نظر ؛ لأن هناك متسعًا للاختلافات حول القيم التي بني عليها هذا الحكم [٣] .

تحديد الحاجات :

اختلف أصحاب نظريات الشخصية في وضع تصور لتحديد الحاجات التي يمكن من خلالها دراسة السلوك . فمنهم من أخذ بتنوع الدافعية وتعددها لدى الإنسان ، ومنهم من أخذ بعدد قليل من التصورات الدافعية .

ويعتبر (موراي) من ممثلي الفريق الأول حيث توصل نتيجة لدراساته إلى قائمة تتكون من عشرين حاجة ، ميَّز بينها على عدة أسس ، منها التفرقة بين الحاجات الأولية التي ترجع إلى إشباعات بدنية مثل : (الحاجة إلى الطعام ، الهواء ، الجنس ، الرضاعة) . الحاجات الثانوية ذات الأصل النفسي مثل : (الحاجة إلى الإنجاز ، والتقدير ، والسيطرة) . وهو يرى أن الحاجات لا تعمل منعزلة عن بعضها ولكن في تفاعل وتأثير متبادل ، ولقد بذل محاولات جادة لكي يصف ذلك التفاعل الجاري بين محددات السلوك ، فأقام الحجة على أن الحاجات تعمل دائمًا في خدمة بعض القيم ، أو بهدف تمهيد السبيل للوصول إلى

(١) Micheal Mann, Macmillan Student Encyclopedia of Sociology London; Macmillan Press,, (1983) , p . (259) .

(٢) Katrin Lederer, " Introduction " Human Needs Ed. By Katrin Lederer. Cambridge, Massachusetts, Oelgeschlager, Gunn & Hain, Publishers, Inc. , (1980) , p. (3) .

(٣) Micheal mann. Op. cit,. p. (258) .

حالة نهائية ، وبذلك فإن القيمة يجب أن تكون جزءًا من تحليل الدوافع [١] .

أما الفريق الثاني فمن أشهر ممثليه جولد شتين الذي يرى أن تحقيق الذات هو الدافع الوحيد لدى الكائن العضوي ، وما يبدو أنه تحركات مختلفة كالجوع والجنس والإنجاز ؟ ليس إلا مظاهر لغرض أسمى للحياة ، وهو تحقيق المرء لذاته . فعندما يكون الشخص جائعًا فإنه يحقق ذاته بتناول الطعام ، ويحتل إشباع أي حاجة نوعية المقام الأول عندما تكون شرطًا لتحقيق الذات للكائن العضوي بأسره [٢] .

نظرية ماسلو : (Maslow Theory) :

اشتهرت نظرية ماسلو في الدافعية الإنسانية ، واتفقت العديد من الآراء على أنها يجب أن تكون الأساس للبحوث والمناقشات ؛ فالنظام الهرمي الذي وضعه ماسلو يمثل نقطة انطلاق مهمة ومثمرة لعملية التنظير للعلاقة بين الحاجات الإنسانية وبين السياسة والمشكلات الإنسانية . وقول باي (Bay) أنه على الرغم من عدم وجود إثبات علمي كافٍ لصدق هذا النظام إلا أنه لا توجد أي نظرية بديلة في الحاجات الإنسانية أفضل من نظريته [٣] .

لذلك يفضل تناولها بقليل من التفصيل فيما يلي : يقرر ماسلو أن الحاجات الإنسانية تنتظم في تسلسل هرمي تبعًا لأولويتها ، وأطلق اسم الحاجات الدنيا على الحاجات الأكثر إلحاحًا ولها الأولوية ، وهي منظمة حسب قوتها كما يلي :

الحاجات الفسيولوجية أولًا ، ثم الحاجات المتعلقة بالأمن ، تليها الحاجات المتعلقة بالانتماء والحب ، ثم الحاجات المتعلقة بالقيمة والتقدير . وظهور أي حاجة للفرد يتوقف على إشباع الحاجة السابقة لها ؛ لذلك فإن الإنسان الذي في حاجة إلى الطعام والأمن والحب والتقدير ، سوف يسعى إلى الحصول على الطعام بقوة أكبر من سعيه إلى إشباع الحاجات الأخرى .

أما الحاجات العليا فهي الحاجات المتعلقة بتحقيق الذات ، فإذا أُشبعت لدى الإنسان الحاجات الدنيا ، ولو بدرجة جزئية ، عندها فقط يمر بتجربة الحاجات العليا (تحقيق

---

(١) ك . هول ، لندري ، مرجع سبق ذكره ، (ص ٢٣١ - ٢٣٧) ، (ص٢٤٦ ، ٣٩٨) .

(٢) ك . هول ، ج ، لندزي ، مرجع سبق ذكره ، (ص ٢٣١ - ٢٣٧) ، (ص ٢٤٦ ، ٣٩٨) .

(٣) Ross Fitzgerald, "Abraham Maslow's Hierarchy of Needs An Expositition and Evaluayion" Human Needs and Politics. Ed. By Ross Fitzgerald. New York, Pergamon Press, (1977) , p . (51) .

الذات) ، حيث لايكون قلقًا على حياته وعلى بقائه .

ويمكن إعطاء أمثلة من كل نوع ؛ فالحاجات الفسيولوجية مثل الحاجة للتخلص من الجوع والعطش ، والحاجة للنوم ، والحاجة للجنس ، والحاجة للتخلص من الألم ، ومن الأمثلة على حاجات الأمن ، الحاجة للحماية ، والبُعد عن الأخطار ، والاطمئنان على المستقبل .

أما حاجات الحب والانتماء فمن أمثلتها : الحاجة للأصدقاء ، والأسرة ، والانتماء لجماعة . ومن الأمثلة على حاجات القيمة والتقدير ؛ الحاجة للاحترام وللإعجاب ، والحاجة للشعور بالإعجاب بالنفس وبقيمتها ، والحاجة للشعور بالرضى عن الذات .

أما الحاجات العليا وهي حاجات تحقيق الذات ، فمن أمثلتها : الحاجة لتحقيق الطاقات الشخصية ، وتطوير الطموح والقدرات ، والقيام بالعمل الذي يناسب الشخص ، والحاجة إلى إنماء وتوسعة الاحتياجات العليا عن طريق اكتشاف الحقائق ، وإيجاد النظام ، وإظهار العدالة .

هذا ولم يضع « ماسلو » الحاجة إلى المعرفة والفهم في مكان محدد من التسلسل الهرمي للحاجات ، إلا أنه يؤكد أن الرغبة للمعرفة والفهم هي دوافع حقيقية نابعة من الحاجات الأساسية ، فالإنسان العادي لا يستطيع أن يأخذ موقفًا سلبيًّا تجاه العالم الذي يعيش فيه ، كما أنه لا يأخذ الأمور على علاتها ولكنه يستفسر ويطالب بمعرفة الأسباب . ولقد صنف « ماسلو » الحاجات المعرفية في تسلسل هرمي أيضًا . فتعتبر – مثلًا – الحاجة إلى معرفة العالم أساسية بشكل أقوى من الحاجة إلى ترتيب الأحداث في إطار . ومن أمثلة الحاجات المعرفية : الحاجة إلى التحليل ، الحاجة إلى إجراء تجارب ، وهي تظهر واضحة لدى الأطفال خاصة ، كذلك الحاجة إلى تفسيرٍ للأحداث وليس معرفتها فقط ، والحاجة إلى إيجاد معنى للحياة [١] .

ولم يذكر « ماسلو » أن هذه هي كل الحاجات الإنسانية ، لكنه أكد أن كل إنسان لديه هذه الحاجات . كما أنه أشار إلى أنه في حالة كون الحاجات العليا في مرحلة من مراحل عمر الإنسان نشيطة للغاية ، ثم تبعها حرمان من إشباع الحاجات الدنيا ، فإنه ليس من الضروري أن تُطفأ أو تخمد الحاجات العليا . ومثّل على ذلك بشخصية

---

(١) Nicholas S.Dicaprio, Personality Theories, Philadelphia, W.B.Saunders Company, (1974), p. (236 - 244).

« غاندي » الذي كان يحرم نفسه من الطعام في سبيل أهداف سامية ؛ لأن الحاجات العليا أصبحت أكثر أهمية لديه ، إلا أنه يقول : « إن الشخص الذي عاش حياته ولم يكن لديه قط طعام يكفيه - أي عاش في حرمان مستمر - لن تنشط عنده الحاجات العليا أبدًا » [١] .

ولقد وجه أنصار علم النفس التحليلي وعلم النفس السلوكي النقد إلى ماسلو ، كما وجهوه إلى علم النفس الإنساني بصفة عامة ، فوصف السلوكيون مفاهيم نظرية ماسلو بأنها غامضة وميتافيزيقية ، وعارضوا قوله بأن الحاجات الأساسية هي حاجات غريزية عالمية ، كما قال البعض أن نظريته تعتبر حيوية (Vitalist) وغائية (Teleogical) خاصة فيما يتعلق بمفهوم تحقيق الذات ، وأنها محملة بالقيم .

وهناك من يدافع عن نظرية ماسلو أمثال ميس (Mace) ، وتايلور (Taylor) ، فيعَّرف ميس الحاجة بأنها عمليات غرضية تهدف توجيه إلى السلوك إلى النهاية التي تقود إليها دينامية الاتزان . وهو يحل مشكلة الفرق بين القيمة والحقيقة بقوله : إن هذا الفرق يتضاءل جدًّا حتى يصبح خير الإنسان يتمثل في إشباع حاجاته . وإذ يعترف ماسلو بأن نظريته محملة بالقيم ولا يوجد غضاضة في ذلك ، نجده يطالب بأن تؤخذ - وبجدية - إمكانية تعامل العلم مع القيم بل إمكانية اكتشاف القيم بواسطة العلم ، إلا أن روس (Ross) يرى أن العلم الذي يصفه ماسلو ليس له علاقة بالقيم ، وأن أي اهتمام بالقيم غير علمي ، أما العلوم ذات الطبيعة فإنها درست القيم باعتبارها حقائق ، وعندما هاجم تايلور وجهة النظر التي تقول إن التفسير الغائي لا يمكن إدراكه بالحواس (Non - Empirical) « وأنه ميتافيزيقي ، علق روس قائلًا : « أنه حتى لو كان التفسير الغائي مقبولًا ، فإن هذا لا ينقذ نظرية ماسلو » ، حيث إن المشكلة الأساسية - من وجهة نظره - لا زالت قائمة والمتمثلة في التساؤل الذي لم يجب عنه ، والخاص بكيفية تحديد الهدف أو نموذج السواء أو المعيار الذي نقيس عليه إشباع حاجات الإنسان « أي كيف نقرر إن كان على مستوى راقٍ أو دون ذلك » .

أما عن التسلسل الهرمي للحاجات فقد لقي التأييد من العديد من المختصين حيث أثبتت التجارب العملية أولوية الحاجات الدنيا مثل : الجوع والعطش ، والحاجة إلى الأمن عن بقية الحاجات [٢] . وعندما سئل ماسلو عن السبب الذي جعل من الوصول إلى تحقيق الذات أمرًا نادرًا جدًّا بين الناس حيث تقل نسبته عن ١٪ ، أجاب بأن الحاجة إلى

(١,٢) Pross Fizgerald, op, cit. p.p. (236 - 244).

تحقيق الذات تقع في أعلى درجات السلم الهرمي لذلك فهي أضعفها ، كما أن ما يحدث أثناء التنشئة الاجتماعية من نقص في إشباع الفسيولوجية والحاجة إلى الأمن والتقدير يجعل من تحقيق الذات أمرًا صعبًا للغاية ، بالإضافة إلى أن تحقيق الذات يحتاج إلى كثير من الشجاعة ، ولا يكفي إشباع الحاجات الدنيا جميعها لكي ينشط تحقيق الذات ، بل يحتاج الأمر إلى بذل جهد وضبط للنفس ، ونظام ، وعمل شاق بل قد يكون الأمر مؤلمًا في بعض الأحيان ؛ لذلك فمن الأيسر على الإنسان أن يتخذ الموقف الأسهل الذي لا يحتاج فيه إلى بذل جهد ، ويضمن له الأمن والسلامة بعيدًا عن أي تحديات ، فالشخص المحقق لذاته يختبر نفسه باستمرار ويتحداها ، ولديه الشجاعة الكافية التي تجعله يسلك بطريقة بعيدة عن الروتين الذي يعهده ويضمن نتائجه [١] .

هذا أهم ما يمكن ذكره عن المفهوم الغربي للحاجات الإنسانية وفيما يلي محاولة للنظر إليها من المنظور الإسلامي ، يسبقها إشارة إلى موقف المختصين المسلمين في علم النفس والتربية تجاه هذه القضية .

الحاجات الإنسانية من المنظور الإسلامي

كتب العديد من المختصين المسلمين في علم النفس والتربية في قضية الحاجات والدوافع من المنظور الإسلامي ، ولقد اتسمت طبيعة كتاباتهم بالسمات التالية :

١ - الأخذ بمفهوم الحاجة وفقًا للتعريفات الواردة بالنظريات الغربية .

٢ - الالتزام بالتصنيف المعتاد عند أصحاب النظريات الغربية للحاجات (حاجات جسمية ، نفسية ، اجتماعية) مع تفسيرها والتدليل عليها من القرآن والسنة .

٣ - إضافة ما أسموه الحاجات الروحية ، وهنا نجد أن بعضهم قد أفردها وميزها عن الحاجات النفسية أمثال (يالجن) ، والبعض الآخر ضمها للحاجات النفسية) أمثال (نجاتي) ، وآخرون ضموها للحاجات الاجتماعية أمثال (محمد عودة وكمال إبراهيم) .

وقد عبر أصحاب الاتجاهين الآخرين عن تلك الحاجات الروحية بالحاجة إلى الدين ، أو الدافع إلى التدين والدوافع الأخلاقية .

٤ - الالتزام بالمصطلحات الغربية على الرغم من اختلاف مضمونها في بعض

---

(١) Duane Schultz, Theories of Personality, Second Ed. Monterey, California, Brooks/ Cole Publishing Company, (1981), p. (253) .

الأحوال عن المضمون المقصود من وجهة النظر الإسلامية ؛ مثال على ذلك مصطلح « تحقيق الذات » ، كما قد يختلف بعضها الآخر في معناه اللغوي مثل مصطلح « صراع » الذي يستخدم كثيرًا ، فهو يعني – كما جاء بالقرآن الكريم – أن يصارع طرف الطرف الآخر بهدف أن يصرعه ، فيفنيه [١] .

ونظرًا لأن الأخذ بمفهوم الحاجة كما جاءت به النظريات الغربية ، والمحدد في المتطلبات الضرورية للحفاظ على سلامة حياة الإنسان ونموه في الحياة الدنيا ، لا يتضمن الإشارة إلى ضوابط الإشباع ، بل تحدث عن الإشباع مطلقًا ، كما لو كان خيرًا كله ، فإنه يبتعد بهذا عن المنظور الإسلامي ، لذلك فلعله من الأفضل وضع تعريف للحاجة يمثل النظرة الإسلامية ، ويمكن أن يكون كما يلي :

الحاجة :

هي : كل « ما تستقيم به مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة » . والإنسان وفقًا لهذا التصور يكون في حاجة إلى كل ما يجلب له المصلحة ، وإلى كل ما يدفع عنه المفسدة في الدنيا والآخرة . وتقدير المصالح هذا يتم في ضوء التوجيه الإلهي ، ولا يترك للعقل الإنساني حرية تقديره منفردًا . وهي بهذا تختلف عن الأهواء والرغبات ؛ فقد يرغب الإنسان في شيء يجلب إليه لذة مؤقتة – حتى لو كانت مستمرة طوال عمره – دون أن يكون في هذا مصلحته الحقيقية ، سواء أدرك ذلك أم لم يدركه . ومصلحة الإنسان الحقيقية – في التصور الإسلامي – هي في نعيم الدنيا والآخرة ، وليس الدنيا وحدها ؛ لذلك فإن المصلحة الأخروية الدائمة تصبح الهدف الصحيح الذي يجب أن يسعى إليه الإنسان من تحقيق مصالحه أو رغباته الدنيوية . وكما يقول الشاطبي : « إن المصالح المجتلبة شرعًا والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى ، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية » [٢] . أي أن مجرد كونها مصلحة في نظر الشخص لا يعتبر ، والمعتبر هو أن تكون بحيث تقوم بها الحياة الدنيا للأخرى .

---

(١) محمد عمارة ، منهج في التعامل مع المصطلحات ، الجزائر ، ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي ، (١٩٨٩م) ، (ص ٩) .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، الموافقات في أصول الشريعة ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ، بدون سنة النشر ، (٣٧/٣) .

وبذلك نرى أن تضمين المفهوم الإسلامي للحاجة لبعد الإيمان بالآخرة ووجوب طاعة اللَّه ﷻ قد منح المفهوم ضابطًا واضحًا وبينًا لإشباع الحاجات . وهو بذلك لا يسمح بحدوث أي اختلافات حول القيم التي يبنى عليها الحكم في كون حاجة ما ضرورية أم لا ؛ لأن القيم الإسلامية ثابتة لاخلاف عليها ، على عكس القيم في الثقافات الأجنبية غير الإسلامية التي تختلف من مجتمع إلى آخر . كما أنه يحدد لنا نموذج السواء ، أو المعيار المثالي الذي نقيس عليه مدى سلامة ورقي الأسلوب المتبع لإشباع الحاجات والذي تساءل عنه روس ، حيث لم تتمكن النظريات الغربية من الوصول إليه ، واللَّه – جل قدره – عليم ورحيم بعباده ؛ لذلك حدد في شريعته هذا النموذج السوي وأرشد إلى كيفية الأخذ به على يد رسله ، (فلا حجة لنا بعد الرسل) . كذلك فإن ربط الحاجة الإنسانية بالمصلحة الشرعية يجعل لها محتوى موضوعيًا يمكن تحديده وإثباته من القرآن والسنة . وبذلك لا تصبح هناك قيمة للرأي المذكور سابقًا والقائل بأنها أبنية نظرية لا يمكن إثبات وجودها بالطرق الفيزيائية .

تحديد الحاجات من المنظور الإسلامي :

بالرجوع إلى آيات القرآن الكريم ، يتضح لنا أن هناك حاجة أساسية ومهيمنة على جميع الحاجات – لأنها ضامنة لإشباعها جميعًا – ألا وهي الافتقار إلى اللَّه ﷻ ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] ويفسر ابن كثير قوله تعالى : ﴿ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ أي أنتم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات [١] .

كما يفسر الرازي قوله تعالى : ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ إعلام بأنه لا افتقار إلا إليه ولا اتكال إلا عليه ، وهذا يوجب عبادته لكونه مفتقرًا إليه ، وعدم عبادة غيره لعدم الافتقار إلى غيره ، كما أن المعنى المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ هو ؛ فلستم أنتم فقراء واللَّه مثلكم من الفقر بل هو غني على الإطلاق ، ولستم أنتم لما افتقرتم إليه تركككم غير مقضي الحاجات بل قضى في الدنيا حوائجكم ، وإن آمنتم يقضي في الآخرة حوائجكم فهو حميد [٢] . فالإنسان في حاجة إلى اللَّه ؛ لأنه تعالى هو الذي

(١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم (جـ٤) ، ط . ١ ، بيروت ، دار الفكر ، (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م) ، (٥٥٢/٣) .

(٢) محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر ، تفسير الفخر الرازي ، (١٦م) ، ط . ٣ ، بيروت ، دار الفكر ، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م) ، (م١٣) ، (١٣/٢٦) .

خلق وسخر ما في السموات وما في الأرض ؛ لإشباع حاجات الإنسان الدنيوية ، وهو في حاجة إلى شكر اللَّه (بعبادته) حتى تقضي احتياجاته في الدنيا وأيضًا في الآخرة .

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التي توضح فضل اللَّه على عباده ، وحاجتهم إليه ، من أمثلة هذه الآيات : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ [الملك : ١٥ ، ١٦] ، كما قال ﷻ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] ، كما قال في سورة النحل : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النحل : ٧٢] ، كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [النحل : ٨٠] والآيات [٥ : ١٦] من سورة النحل أيضًا توضح فضل اللَّه وتسخيره للسموات والأرض من أجل الإنسان ومن أجل قضاء حاجاته الدنيوية ، ثم قال عز من قائل : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل : ١٨] ، كما قال تعالى على لسان سيدنا إبراهيم : ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٥ - ٨١] . إذن فالله خالق الإنسان وخالق كل شيء ، مقدر الحاجات على الناس لعلمه ، ورازقهم بما يشبعها برحمته ، حتى أصبحت كل الحاجات إليه وحده وكل التوجه إليه وحده سواء أعطى أو منع بحكمته ، فإن أعطى ما يشبع الحاجات ، فلا يجوز إشباعها إلا وفقًا لأمره وإن منع فلا راد لقضائه ، وتكون استجابة الإنسان القبول لحكم اللَّه واليقين بما عنده .

ويمكن تحديد الحاجات الإنسانية بالنظر إلى مقاصد الشريعة الإسلامية كما صنفها الشاطبي في المواقف ، وذلك على الوجه التالي :

الحاجات الأساسية من منظور المصالح المقصودة من التشريع :

قسمت المصالح المقصودة من التشريع باعتبار آثارها في قوام أمر الأمة إلى ثلاثة أقسام : « ضرورية ، وحاجية ، وتحسينية » . والمصالح الضرورية هي التي تكون الأمة بمجموعها وآحادها في ضرورة إلى تحصيلها بحيث لا يستقيم النظام بإخلالها . وليس المقصود باختلال نظام الأمة هلاكها واضمحلالها ؛ لأن هذا قد سلمت منه أعرق الأمم الوثنية والهمجية ، ولكن المقصود أن تصير أحوال الأمة شبيهة بأحوال الأنعام بحيث لا تكون على الحالة التي أرادها الشارع منها .

وقد مثَّل الغزالي والشاطبي هذا القسم الضروري بما يلي :

« حفظ الدين – حفظ النفس – حفظ العقل – حفظ المال – حفظ النسل » [١] .

وبالنظر إلى هذه الضروريات على أنها تمثل الحاجات الأساسية للإنسان ، وذلك باعتبار الحالة التي يريدها اللَّه للإنسان وهي : أن يعرف الحق ويعتقده ، ويعرف الخير ويعمل به حسب وسعه ، فيحقق بذلك إنسانيته بعبوديته للَّه ، على عكس حالة الإنسان الذي انسلخ من إنسانيته لعدم قيامه بعبادة اللَّه ، فصار حيوانًا أو دون الحيوان كما وصف اللَّه تعالى الكفار : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

فعلى هذا الأساس يصبح ترتيب الحاجات الإنسانية كما يلي :

أولًا : الحاجة إلى حفظ الدين :

والدين هو عقيدة وشريعة ، والحفاظ عليه يقتضي الحفاظ على كل منهما . وحفظ العقيدة هو حفظ فطرة الإنسان السليمة (التوحيد) من أن يدخل عليها ما يفسدها وحفظ تصوراته من الفساد أو دخول الشك والريبة بها ، وحفظ الشريعة أي حفظ إرادة الإنسان وتوجهاته وأعماله من الفساد والانحراف عما شرعه اللَّه .

ثانيًا : الحاجة إلى حفظ النفس :

أي حفظها عن التلف قبل وقوعه [٢] ، ويتضمن هذا توفير الأمن على الحياة وهو من أعظم حاجات الكائن الحي .

ثالثًا : الحاجة إلى حفظ العقل :

أي حفظه من أن يدخل عليه خلل ؛ لأن دخول الخلل على العقل مؤدٍّ إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف ، فالإنسان في حاجة إلى أن يبقى عقله في حالة صحية جيدة (الصحة العقلية) لكي يستطيع أن يقوم بمهام التكليف .

رابعًا : الحاجة إلى حفظ المال :

والمقصود بالمال هو ما يقع عليه الملك ، ويستوي في ذلك الطعام أو الشراب واللباس وجميع المتمولات التي لا غنى عنها لبقاء الإنسان على قيد الحياة [٣] .

---

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، (١٩٧٨م) ، (ص٧٨ – ٨٠) .

(٢) محمد الطاهر ابن عاشور ، المرجع السابق ، (ص٨٠) .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي ، مرجع سبق ذكره ، (١٧/٢) .

خامسًا : الحاجة إلى حفظ النسل :

والنسل هو حفظ أفراد النوع ، فلو تعطل يؤول تعطيله إلى اضمحلال النوع وانتقاصه [١] ، هذه هي الحاجات الأساسية أو الضرورية التي لا تستقيم مصالح الإنسان في الدنيا والآخرة إلا بإشباعها .

أما مستويات الإشباع فيمكن تقسيمها كما يلي :

- المستوى الأول :

هو حفظها من العدم ، فلو عدم الدين عدم ترتب الجزاء المرتجى (وهو الفوز بالجنة والنجاة من النار) ، ولو عدمت النفس ، عدم من يتدين . ولو عدم العقل ، ارتفع التدين لأن العقل من شروط التكليف ، ولو عدم المال لعدم العيش ، ولو عدم النسل لم يكن هناك بقاء .

- المستوى الثاني :

ويتمثل في حفظ استمرار إشباع الحاجات الضرورية دون حرج أو مشقة ، بحيث يؤدي إلى انتظام المصالح على وجه حسن . ولهذا قد تتفرع من الحاجات الضرورية الخمس حاجات أخرى مكملة لها ، فتحسِّن من مستوى الإشباع .

- المستوى الثالث :

ويتمثل في حفظ استمرار إشباع الحاجات الضرورية بأحسن صورة ممكنة ، أي في أعلى المستويات . وغالبًا ما يحتاج الإنسان إلى أنواع أخرى من الحاجات متفرعة من الحاجات الضرورية الخمسة ، ومتممة لها ، وهذا المستوى يقابل المصالح التحسينية التي تقع موقع التحسين والتيسير للمزايا ، ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات .

هذا والآيات [٣٥ : ٤٠] من سورة إبراهيم ، تشير إلى أهم الحاجات التي طلب سيدنا إبراهيم من اللَّه ﷻ إشباعه له ولأهله ، وهي لا تخرج عن الحاجات السابقة الذكر ، فالحفاظ على الدين يتمثل في طلب سيدنا إبراهيم العصمة من الشرك أي التوحيد وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ . وطلبه أن يوفقه اللَّه للأعمال الصالحة أهمها الصلاة في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ ﴾ وكذلك في طلبه أن تتقبل عبادته وذلك في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴾ والحفاظ على النفس يتمثل في طلبه الأمن ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ . حيث ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد هنا جعل أهلها

(١) محمد الطاهر ابن عاشور ، مرجع سبق ذكره ، (ص٨١) .

آمنين . والحفاظ على المال يتمثل في طلبه الرزق في قوله تعالى : ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ . أما الحفاظ على النسل فيتضح في دعائه لبنيه وذريته .

ويذكر الرازي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] أنه يدل على أن المقصود للعاقل من منافع الدنيا أن يتفرغ لأداء العبادات وإقامة الطاعات ، فإن إبراهيم عليه السلام بين أنه إنما طلب تيسير المنافع على أولاده لأجل أن يتفرغوا لإقامة الصلوات وأداء الواجبات [١] . ومن هنا يتضح السبب من تقديم الحاجة إلى صيانة الإنسان من الشرك عن الحاجة إلى الطعام ، حيث إشباع الحاجة إلى الطعام وغيرها من الضروريات المعيشية ، هي وسيلة لتحقيق الهدف الذي من أجله خلق الإنسان ، وهو عبادة اللَّه . كما أن التوحيد وعدم الشرك هو الأساس الذي تقوم عليه سائر العبادات والطاعات والأعمال الصالحة المقبولة ، فلن ينفع الإنسان أن يبقى على حياته بتوفر وسائل العيش ، إذا لم يكن موحدًا باللَّه ؛ لأن ذلك سيجعل نهايته النار في الحياة الأخرى ؛ فاللَّه يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك به . وبهذا نرى أن هذا الترتيب للحاجات يدعم مفهوم الحاجة ، كما سبق ذكره من المنظور الإسلامي .

يتضح من كل ما سبق أن المنظور الغربي يغفل تمامًا البُعد المتعلق بصلة الإنسان بخالقه والإيمان باليوم الآخر في تفسيره للمشكلات الفردية وتناوله للحاجات الإنسانية .

كما أنه من هذا المنظور يتصور أن بيئة الإنسان – مهما بلغت من كفاية – لن يمكنها إشباع كافة حاجاته ورغباته بصورة تشعره بالرضا والسعادة ، نظرًا لتنوع هذه الحاجات وتغيرها وتجددها بين لحظة وأخرى [٢] . ولا شك أن هذا الرأي – من المنظور الإسلامي على الأقل – قد جانب الصواب ، فتصور الرضا والسعادة بأنها لا تتحقق إلا إذا أشبعت حاجات الإنسان المادية والاجتماعية تصور غير صحيح ، وهو التصور الدنيوي البحت الذي يأخذ به من لا يؤمن بالآخرة وبالثواب والعقاب ، أما من يؤمن بها فإنه يرى في عدم إشباع حاجاته – لأي سبب كان – ابتلاءً إذا صبر عليه سيلقى خيرًا في الدنيا والآخرة ، فإن اللَّه عز وجل إن أراد يهد قلب المؤمن لليقين فيطمئن ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه . وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : « **عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير . وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سرَّاءُ شكر . فكان**

(١) محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، (م١٠) ، (١٤٠/١٩) .

(٢) عبد الفتاح عثمان ، خدمة الفرد والمجتمع المعاصر ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (١٩٧٧م) ، (ص١٦) .

خيرًا له . وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيرًا له » [١] فالمؤمن يصبر على الضراء وقلبه يملأه الرضى واليقين بثواب اللَّه له في الآخرة .

هذا وعلى الرغم من إشارة بعضهم إلى أهمية القيم ووجوب أخذها في الاعتبار عند تحليل الحاجات مثل موراي الذي أكد على أن الحاجات تعمل في خدمة القيم ، وماسلو الذي دلل على ذلك إلا أن الأهداف في النهاية هي أهداف دنيوية فقط مهما كانت محملة بالقيم ، فالحياة الأخرى لم تدخل في اعتبارهم أصلًا وكأن حياة الإنسان في هذه الدنيا هي نهاية المطاف وأنه خلق عبثًا .

كما أن قول ماسلو بأن الإنسان الذي عاش حياته في حرمان مستمر ولم تشبع لديه الحاجة إلى الطعام ، لن تنشط لديه الحاجات العليا وبالتالي تحقيق الذات ، قول لا يتفق مع المنظور الإسلامي ، فالمعروف عن الرسول ﷺ وعن أصحابه ﷺ أنهم كانوا يجوعون كثيرًا . (نتيجة نقص الموارد) . كما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من خبز برٍّ ثلاث ليال تباعًا حتى قبض » [٢] .

ويشير محمد عودة ، وكمال إبراهيم - إلى هذه الفئة من المسلمين الأوائل أنهم كانوا يجدون تحقيق ذواتهم في الالتزام بما فرضه اللَّه من عبادات ومعاملات ، ويجدونها في التوبة والاستغفار بالليل والنهار ، ويجدونها في الحمد والشكر في السراء ، والصبر والاحتساب في الضراء . فتحقيق الذات عند المؤمن يكون في بقاء نفسه على مستوى حسن من الإحساس الدائم باللَّه ، والمصاحبة المستمرة له ، والشعور بالمسؤولية الكبيرة والواجب العظيم والأمانة السامية التي يحملها الإنسان في الحياة [٣] .

إذًا فتحقيق الذات عند المؤمن هو تحقيق العبودية للَّه ﷻ ، وبذلك يظهر الفرق بين المنظور الغربي والمنظور الإسلامي لمضمون تحقيق الذات . وبينما يضع ماسلو الحاجة إلى تحقيق الذات في أعلى درجة للحاجات الإنسانية ، يضع المنظور الإسلامي الحاجة إلى حفظ الدين - الذي يتمثل فيه تحقيق ذات المؤمن أو العبودية للَّه - في أول درجات سلم الحاجات .

كما اتضح أن إشباع الحاجة إلى حفظ الدين تعتبر الهدف من إشباع الحاجات المادية

---

(١) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، (٤م) ، ط . ٢ ، بيروت ، دار الفكر ، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ، (م٤) ، كتاب الزهد ، باب (١٣) .

(٢) أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، المرجع السابق ، (م٤) كتاب الزهد .

(٣) محمد عودة محمد ، كمال إبراهيم مرسي ، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ، الطبعة الثانية ، الكويت ، دار القلم ، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، (ص ١٠٨) .

الأخرى التي تحافظ على بقاء الإنسان ؛ لذلك يمكن اعتبارها وظائف غائية (Consummatory Functions) واعتبار إشباع الحاجات المادية الأخرى وظائف وسيلية (Instrumental Functions) وذلك على غرار التصنيف الذي وضعه بارسونز (Parsons) لوظائف النظم الاجتماعية التي تعمل على بقائها واستمرارها [١] . فإذا تصورنا الإنسان كنسق له وظائف غائية وأخرى وسيلية ، تنشأ المشكلات المختلفة باختلاف نوعية الخلل ودرجته ، فإذا كان هناك خلل في الوظائف الغائية ، أي في إشباع الحاجة إلى حفظ الدين ، إما بفساد في التصور (أي في الاعتقاد) وإما بفساد الأعمال (السلوك المنحرف عن الشريعة) أو بكليها ، وذلك مع صحة وسلامة الوظائف الوسيلية المتمثلة فبإشباع الحاجات المتصلة بالبقاء ؛ سينتج هناك مشكلات قد تكون واضحة وملموسة ، وذلك في حالة كون الفساد في الأعمال أو غير ملموسة ، أو غير مدركة في حالة كون الفساد في الاعتقاد . وهنا يظهر مرة أخرى الفرق بين النظرة الإسلامية للمشكلات والنظريات الغربية التي لا تعتبر هناك مشكلة في مثل هذه الحالة ؛ حيث الحاجات المادية المشبعة بطريقة سليمة لم تدفع الإنسان إلى الخروج عن السواء أو تعدي القوانين المجتمعية ، أما سلامة الاعتقاد وصحة تصور الإنسان للخالق وعلاقته به ، لا تدخل أصلًا ضمن الوظائف الغائية للنسق الإنساني من المنظور الغربي ؛ لذلك لا يرونها مشكلة ، فسلامة الاعتقاد أو فساده ، لا تهم ما دام الإنسان قادرًا على التوافق مع بيئته الاجتماعية . أما المنظور الإسلامي فيراها مشكلة عظيمة ؛ وذلك لأنه يأخذ في اعتباره الحياة الأخرى ، فإذا فسدت عقيدة الإنسان بالكفر باللَّه أو الشرك به فإن عاقبته النار . فمهما تمتع في حياته الدنيا فإنها فانية والحياة الأخرى هي الباقية ، يقول عز من قائل : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧] ، وفي آية أخرى يتضح بجلاء أهمية صحة الاعتقاد وسلامة الوظائف الغائية ، حيث تعقد مقارنة بين مجموعة من الناس وظائفهم الغائية سليمة بجانبيها (اعتقاد – وسلوك) وبين مجموعة أخرى وظائفهم الوسيلية سليمة ولديهم خلل في وظائفهم الغائية خاصة الجانب الاعتقادي .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد : ١٢] .

---

(١) Fred M.Cox, ‘‘Introduction’’, Strategies of Community Organization, Ed. By Fred M.Cox, and Others, Itasca, Illnois; F.E Peacock Publishers, Inc, (1987) , p . (192).

فالإيمان والعمل الصالح يمثلان الوظائف الغائية السليمة لدى المجموعة الأولى ، والكفر يمثل فساد الوظائف الغائية لدى المجموعة الثانية كما يمثل تمتعهم بالمأكل والمشرب في الحياة الدنيا بسلامة الوظائف الوسيلية .

أما إذا كان الخلل في الوظائف الوسيلية ، أي يكون هناك نقص في إشباع الحاجات المادية والنفسية الضرورية ، مع سلامة الوظائف الغائية بجانبيها ، فلا شك أن الإنسان سيكون معرضًا لمشكلات ، مثل : الفقر ، الشعور بالظلم الاجتماعي ، قد يتعوض للمرض ، الجهل ، وهو قد يستطيع أن يتغلب على هذه المشكلات بفضل اللَّه عن طريق قوة الوظائف الغائية أي قوة الإيمان باللَّه والتوكل عليه وطاعته وعدم الوقوع في المعاصي . ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قصص الأنبياء عن ابتلاء اللَّه تعالى لهم ، وكيف صبروا على ذلك وتوجهوا للَّه ﷻ يدعونه رغبةً ورهبةً وكانوا له خاشعين ، فاستجاب لهم ربهم ونجَّاهم وأعطي لكل طلبه في الدنيا قبل الآخرة ، ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٩٠] كما يقول تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١] .

وتظهر من هذه الآيات أهمية مجاهدة النفس والصبر حتى ينال الإنسان رضا اللَّه فيستطيع بفضله أن يتغلب على مشكلاته ، ويتفاوت الناس في مدى استطاعتهم التغلب على مشكلاتهم نظرًا لتفاوتهم في المقدرة على جهاد النفس والصبر المتوقفة على قوة إيمانهم باللَّه وتوكلهم عليه والتزامهم بطاعته أي على مستوى إشباعهم الحاجة لحفظ الدين (الوظائف الغائية) ، فقد يكون الفساد تامًّا فلا يشكل لدى صاحبه مشكلة ؛ لأنه لا يشعر بإزعاج بل يتمتع بحياته الدنيوية ، أو ربما لا يكون

الفساد تامًّا بحيث يشكل لديه نوعًا من القلق والشك وعدم الاطمئنان بما وجد عليه نفسه من كفر أو شرك . وتؤكد النتائج التي جاءت بها الدراسة التي قام بها سوليفان على أشخاص مسلمين يمرون بأزمات ويشعرون بتوتر نتيجة عدم استطاعتهم تحمل أعبائهم ، أن السبب في ذلك يرجع إلى العديد من العوامل التي أهمها تفسيرهم الخاطئ لأحداث الحياة وللودائع التي يمنحها اللَّه لهم (الثروة ، القوة ، العقل) باعتقادهم أنها إنجازات بشرية . كما أنهم يوجهون اعتمادهم وخضوعهم إلى الوجهة الخاطئة (الشرك) ، وتقرر الدراسة أيضًا أن الشخص الذي يعاني من الاضطراب العصبي أو الاختلال العقلي هو شخص إما أنه قد أنكر الإيمان باللَّه ، أو أن توجهه لعبادة اللَّه والإيمان به تتخلله تناقضات ، ومعتقدات خاطئة [١] .

وبهذا نرى أنه لكي نحدد أبعاد المشكلة الفردية ونتوصل إلى مسبباتها ، لا بد من التعرف على مدى قوة إيمان الفرد باللَّه ﷻ وصحة اعتقاداته وتوجهاته ، والقلب كما جاء في الكتابات الإسلامية هو محل معرفة اللَّه ﷻ والإيمان به ؛ لذا فمن خلال دراسة أحوال القلوب نستطيع أن نكوِّن خلفية معرفية تمكنا من تقدير موقف الفرد من حيث معرفته باللَّه واستعانته به .

فما هي أحوال القلوب ؟

لقد أوجزها الرسول ﷺ في الحديث الذي صح عن حذيفة ﷺ ، أنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **القلوب أربعة ؛ قلب أجرد فيه سراج مزهر فذلك قلب المؤمن ، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر، وأبصر ثم عمي ، وقلب تمده مدتان ؛ مدة إيمان ، ومدة نفاق ، فهو لما غلب عليه منهما** » [٢] وفيما يلي شرح لهذا الحديث :

أولًا : حالة قلب المؤمن :

هو قلب أجرد أي متجرد عما سوى اللَّه ﷻ ورسوله صلوات اللَّه عليه ، فقد تجرد وسلم مما سوى الحق ، وفيه سراج يزهو وهو مصباح الإيمان [٣] .

والإيمان هو اعتقاد بالقلب ، ونطق باللسان ، وعمل بالأركان . وعن الشافعي أنه

---

(١) جون ، سوليفان ، وجهة النظر الإسلامية بالنسبة للأشخاص المعرضيين للأزمة ، المسلم المعاصر ، العدد (٢١) ، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ، (ص ١٢٨ - ١٣٠) .

(٢ ، ٣) محمد السفاريني الحنبلي ، شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد ، ط . ٢ ، الطبعة الثانية ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، (١٣٩١هـ) ، (٥٤٦/٢) .

قال : « الإيمان قول وعمل ، ويزيد وينقص ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية » [١] . ولقد حدد ابن تيمية أصول الإيمان وقواعد الدين في :

« محبة اللَّه ورسوله ، والتوكل على اللَّه ، وإخلاص الدين للَّه ، والصبر على حكمه ، والشكر له ، والخوف منه ، والرجاء له ، وما يتبع ذلك » . وقسم الناس بالنسبة إلى قيامهم بهذه الأعمال على ثلاث درجات هي :

١ - ظالم لنفسه : العاصي بترك مأمور أو فعل محظور .

٢ - المقتصد : المؤدي الواجبات والتارك المحرمات .

٣ - السابق بالخيرات : المتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب والتارك للمحرم والمكروه [٢] .

وعن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال : « **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ؛ أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** » . ويذكر ابن حجر في شرح هذا الحديث عن الشيخ محيي الدين أنه قال : « معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات ، وتحمل المشاق في الدين ، وإيثار ذلك على أعراض الدنيا » ، ومحبة العبد للَّه تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك الرسول . كما قال البيضاوي ؛ المراد بالحب هنا الحب العقلي الذي هو إيثار ما يقتضي العقل السليم رجحانه ، وإن كان على خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر منه ، ويميل إليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله . فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص آجل ، والعقل يقتضي رجحان ذلك ، تمرن على الائتمار بأمره بحيث يصير هواه تبعًا له ، ويلتذ بذلك التلذذ عقليًا ؛ إذ الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك [٣] .

---

(١) أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، (جـ٣٦) ، ط.١ ، جمع وترتيب ، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد ، الرياض ، مطابع الرياض ، (١٣٨١هـ) ، (٦/١٠ ، ٧) .

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (١٣م) ، بيروت ، دار المعرفة ، (١٣٧٩هـ) (م١) ، (ص ٤٦ ، ٤٧) .

(٣) أحمد بن تيمية ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، (٣٦) ، ط.١ ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي وابنه محمد ، الرياض ، مطابع الرياض ، (١٣٨١هـ) ، (٦/١٠ ، ٧) .

ويقول الغزالي ؛ إن المحبة هي علامة المعرفة ، فمن عرف اللَّه تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها . من المحبوبات [١] كما يقول ابن تيمية أنه « كلما ازداد القلب حبًّا للَّه ازداد له عبودية (طاعة وتقوى) ، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبًّا وحرية عما سواه » [٢] .

هذا ويذكر الرازي ما قاله الواحدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢] إن كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان أزيد إيمانًا ؛ لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين [٣] . ولقد جاء في حديث للرسول ﷺ ما يفيد أنه أعلم الناس باللَّه ﷻ وأتقاهم [٤] ، وبهذا يتضح أن هناك علاقة طردية بين معرفة الإنسان للَّه ﷻ وبين إيمانه وتقواه .

كما يمكننا أن نحدد مدى قوة أو ضعف إيمان الفرد بدقة أكبر إذا ما استطعنا الاستفادة من مفهوم شعب الإيمان . حيث قال الرسول ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا اللَّه ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » [٥] .

يقول ابن حجر : إن معنى الشعبة القطعة ، ولكن المراد هنا الخصلة ، ولقد قسم عمر ابن عبد العزيز ﷺ شعب الإيمان إلى :

– فرائض أي أعمالًا مفروضة ، شرائع أي عقائد دينية ، حدود أي منهيات ممنوعة ، سنن أي مندوبات .

كما قسمها القاضي عياض إلى :

– أعمال القلب الذي فيه المعتقدات والنيات ، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة ، أعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال ، أعمال البدن وتشتمل على ثمانٍ وثلاثين خصلة [٦] ولقد ذكر جميع الخصال بالتفصيل .

---

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، (م١) ، (ص٦٠ ، ٦١) .

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، (٤جـ) ، دمشق ، مكتبة عبد الوكيل الدروبي ، (د.ت) ، (٥٤/٣) .

(٣) أحمد بن تيمية ، مرجع سبق ذكره ، (م١٠) ، (ص١٩٣) .

(٤) محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، (م ٨) ، (ص١٢٢) .

(٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، (م١) ، (ص٧٠) .

(٦) أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، مرجع سبق ذكره (كتاب الإيمان) ، (م١) .

فإذا أمكن الاستفادة من هذه التقسيمات بالإضافة إلى تقسيم ابن تيمية للناس – سابق الذكر – في تصميم أداة أو أكثر لقياس مدى التزام العميل المسلم بشعب الإيمان وتحديد مواطن الضعف والقوة لديه ، وتحديد ما ينقصه من معرفة باللَّه أو ما هو غافل عنه ، فإن ذلك دون شك سيساعد على التشخيص السليم لما يعانيه من مشكلات أوأزمات .

والجدير بالذكر أن هناك من قام بالفعل بتصميم مقياس لمستوى التدين يمكن الاستفادة منه وتطويعه ليناسب عمل الأخصائي الاجتماعي [١] .

ثانيًا : حالة قلب الكافر :

وهو قلب أغلف ؛ لأنه داخل في غلافه وغشائه ، فلا يصل إليه نور العلم والإيمان [٢] . وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [البقرة: ٦ ، ٧] الختم هو الطبع ، قال ابن جرير : إن رسول اللَّه ﷺ أخبر أن « الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها ، وإذا أغلقتها أتاها حينئذٍ الختم من قِبَل اللَّه تعالى والطبع ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ، ولا للكفر عنها مخلص » [٣] .

هذا كما جاء في العديد من آيات القرآن الكريم أوصاف لقلوب الكفار حددها القرطبي في تفسيره بعشرة أوصاف هي : « الختم ، والطبع ، والضيق ، والمرض ، والرَّين ، والموت ، والقساوة ، والانصراف ، والحمية ، والإنكار » [٤] .

والكفر كما سبق الإشارة يمثل فساد الوظائف الغائية لدى الإنسان لذلك فهو أعظم المشكلات ولا سبيل لحلها سوى التحول من حالة الكفر إلى حالة الإيمان بتوفيق من اللَّه ﷻ .

ثالثًا : حالة قلب المنافق :

وهو القلب المنكوس أي المكبوب ، وهذا أشر القلوب وأخبثها فإنه يعتقد الباطل حقًّا

---

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، (م١) ، (ص ٤٧ ، ٥٢) .

(٢) صالح بن إبراهيم بن عبد اللطيف الصنيع ، « العلاقة بين مستوى التدين والسلوك الإجرامي » ، رسالة دكتوراه ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم النفس ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) .

(٣) محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، (ص٥٤٦) .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، (٣٠جـ) ، بيروت ، دار المعرفة ، الطبعة الاولى ، (١٤٠٩هـ) ، (م١) ، (ص ٨٧) .

ويوالي أصحابه ، والحق باطلًا يمادي أهله [١] .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة : ٨ - ١٠] .

ولقد أجمع المفسرون أن هذه الآيات جاءت في وصف المنافقين والمنافق هو من يقول بلسانه أنه مؤمن وضميره يخالف ذلك [٢] ، وتأويل المرض الذي وصف اللَّه أنه في قلوب المنافقين هو الشك في اعتقادات قلوبهم وأديانهم وما هم عليه في أمر محمد رسول اللَّه ﷺ ، وأمر نبوته وما جاء به [٣] .

ولقد وُصف قلب الكافر والمنافق بالموت ؛ لأنه لا يعرف ربه ، ولا يعبده بأمره ، وبما يحب اللَّه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته وإرادته ، ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، لعدم مبالاته إذا فاز بشهواته رضى ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير اللَّه ، فهو إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وكذلك منعه وإعطاؤه . وهو على عكس قلب المؤمن الذي سلم من كل ذلك وأخلص عبادته وعمله للَّه [٤] .

رابعًا : قلب له مدتان :

وهو القلب الذي لم يتمكن فيه الإيمان ، ولم يزهر فيه سراج ليدفع شبهات الباطل ، وشهوات الغي ، بل فيه مدة من الإيمان وهو كونه يشهد للَّه بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة ، وأنه من أمته التابعين لظاهر شريعته وفيه مدة من خلافه ، وهي ظلمات الجهل ، وغيم الشبهات ، وهوى الشهوات الذي أطفأ مصباح بصيرته [٥] .

ومدة النفاق المذكورة في الحديث يقصد بها نفاق العمل فكما ذكر ابن كثير أن النفاق أنواع : « اعتقادي » وهو الذي يخلد صاحبه في النار ، و « عملي » وهو أكبر الذنوب [٦] .

وكما جاء في حديث رسول اللَّه ﷺ : « **آية المنافق ثلاث ؛ إذا حدث كذب ، وإذا**

---

(١) أبو عبد اللَّه محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (٢٠جـ) ، ط . ٢ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، (١٨٦/١) .

(٢) محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، (ص٥٤٧) .

(٣) محمد الرازي فخر الدين ، مرجع سبق ذكره ، (م١) ، (ص٦٤) .

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، مرجع سبق ذكره ، (م١) ، (ص٩٤) .

(٥) محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، (ص ٥٤٣ ، ٥٤٤) .

(٦) محمد السفارينى الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، (ص٥٤٧) .

وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان » . فهذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم ، والتحذير له من أن يعتاد هذه الخصال ، فتقضي به إلى النفاق ، لإن من بدرت منه هذه الخصال أوفعل شيئًا من ذلك من غير اعتياد أنه منافق ويدل عليه التعبير بإذا ، فإنها تدل على تكرار الفعل [١] .

ولقد وصف هذا النوع من القلوب بالمرض ؛ لأنه قلب له حياة وبه علة ، فله مدتان بمد بهذه مرة وبهذه أخرى فهو ممتحن داعيين ، داعٍ يدعوه إلى اللَّه ورسوله والدار الآخرة ، وداعٍ يدعوه إلى العاجلة . فما يلقيه الشيطان في الأسماع والأذهان من الألفاظ ، وفي القلوب من الشبه والشكوك والظنون والتخيلات الباطلة ، فتنة للقلب الميت والقلب المريض ، وقوة للقلب الحي السليم ؛ لأنه يرد ذلك ويكرهه ويبغضه ، ويعلم أن الحق في خلافه ، فيخبت للحق قلبه ويطمئن وينقاد ، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان من سوء الاعتقاد ، فيزداد إيمانًا بالحق ومحبة له وكفرًا بالباطل وكراهة له [٢] .

وهكذا يظهر دور الشيطان في إبقاء القلب الميت على حالته ، وإبقاء المريض على مرضه أو زيادته سوءًا ، فتزداد المشكلات حدة وإزمانًا .

هذا ولعل دور الشيطان كأحد العناصر المسببة للمشكلات من أبرز الفروق بين التفسير الإسلامي والتفسير الغربي . ونحن نجد الشخص المسلم العادي يضعه في اعتباره دائمًا ويرجع حدوث العديد من المشكلات إليه ، لذلك فإنه من المفيد الإشارة بإيجاز شديد إلى دور الشيطان في حدوث المشكلات وتعقيدها .

أولًا : موقع الشيطان من الإنسان :

قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف : ٥] ، وفي آية أخرى يوضح اللَّه ﷻ الموقع الذي يجب أن يتخذه الإنسان من الشيطان : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] . كما جاء في حديث للرسول ﷺ : « **إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم** » [٣] ، وفي حديث آخر : « **كلَّ بني آدم يطعن الشيطانُ من جنبيه بأصبعيه حين يولد ....** » [٤] .

---

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، مرجع سبق ذكره ، (٤٨/١) .

(٢) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ، شرح السنة ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، وزهير الشاويش ، (٦ج) ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، (١٩٧١م) ، (٧٦/١) .

(٣) محمد السفاريني الحنبلي ، مرجع سبق ذكره ، (ص ٥٤٤، ٥٤٥) .

(٤) أحمد بن علي بن حجر ، مرجع سبق ذكره ، (م ١٣) ، كتاب الأحكام ، (ص ١٥٩) .

ثانيًا : يتحدد دور الشيطان في أهم الأعمال التالية :

١ - التزيين والإغواء والاستهواء [١] .

٢ - الوعد ، والتسويل ، والتخويف [٢] .

٣ - النزاع بين الناس وإيقاع العداوة بينهم والحزن [٣] .

٤ - مس الإنسان بالنصب والعذاب [٤] .

٥ - إيقاع النسيان لذكر اللَّه بالإنسان [٥] .

٦ - تعليم الناس السحر [٦] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء : ٨٣] ، كما يقول تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل : ٩٩] . فالله بفضله يمن على المؤمنين المتوكلين عليه بدفع الشيطان عنهم ، إلا أن هذا لا يدل على أنه لا يتعرض لهم أبدًا بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] . فطائف من الشيطان هنا مس المتقين ، إلا أن اللَّه بفضله جعلهم يتذكرونه فيبصرون ، ويذهب ذلك الطائف . ولقد تفضل اللَّه عليهم بذلك لأنهم متقون . فلا بد للإنسان المؤمن المتوكل على اللَّه أن يحافظ على هذه النعمة ويتقي اللَّه حتى ينال فضل اللَّه في دفع الشيطان عنه ، ويغلق هذا الباب من أبواب دخول المشكلات .

ولقد فصل الغزالي مداخل الشيطان إلى القلب ، بطريقة توضح كيفية قيام الشيطان بدوره مع الإنسان بشكل يفيد في تفسير المشكلات الفردية ، فلقد مثل القلب بالحصن ، والشيطان عدو يريد أن يدخل الحصن عن طريق أبوابه ومداخله . التي تتمثل في صفات العبد وهي كثيرة ، نشير إلى أهمها :

« الغضب ، والشهوة ، والحسد والحرص ، والشبع من الطعام ، وحب التزين من

---

(١) أحمد بن علي بن حجر ، مرجع سبق ذكره ، (م ٦) ، كتاب بدء الخلق ، (ص ٣٣٧) .

(٢) القرآن الكريم : [الحجر : ٣٩] ، [النساء : ٦٠] ، [الأنفال : ٤٨] .

(٣) القرآن الكريم : [النساء : ١٢٠] ، [البقرة : ٢٦٨] ، [محمد : ٢٥] ، [آل عمران : ١٧٥] .

(٤) القرآن الكريم : [الإسراء : ٥٣] ، [يوسف : ١٠٠] ، [المائدة : ٩١] ، [المجادلة : ١٠] .

(٥) القرآن الكريم : [ص : ٤١] ، [الأعراف : ٢٠١] .

(٦) القرآن الكريم : [يوسف : ٤٢] ، [المجادلة : ١٩] .

الأثاث والثياب والدار ، والطمع في الناس ، والعجلة وترك التثبت من الأمور ، وحب الأموال من العروض والعقار وغيره ، والبخل وخوف الفقر » [١] .

فالشيطان يدخل إلى قلب الإنسان من خلال صفاته هذه الذي طبع عليها ويستخدم أساليبه في التزيين والاستهواء ، والتخويف والتسويل ، حتى يوقع الإنسان في معصية اللَّه ﷻ فيتجاوز حدود اللَّه ويأخذ الشيء من حيث حذره اللَّه عليه . وبذلك تحدث المشكلات .

ولكن الشيطان ليس هو العدو الوحيد للإنسان ، فهناك النفس المذمومة فإنها تأمر بكل سوء هذا من طبيعتها ، فما تخلص أحد من شرها إلا بتوفيق اللَّه . قال تعالى على لسان نبيه يوسف : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [يوسف : ٥٣] وفي حديث صحيح عن الرسول ﷺ أنه استعاذ باللَّه من شرور الأنفس ومن سيئات الأعمال . فالشر كامن في النفس ، وهو يوجب سيئات الأعمال ، فإذا خلَّى اللَّه بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الأعمال ، وإن وفقه اللَّه وأعانه نجا من ذلك كله. والنفس الأمارة بالسوء هذه جعل الشيطان قرينها ، فهو يعدها ، ويمنيها ، ويقذف فيها بالباطل ، ويأمرها بالسوء ويزينه لها [٢] .

ننتهي مما سبق إلى أن المشكلات الفردية غالبًا ما ترجع إلى أحد أو بعض العوامل التالية : -

١ - الفساد التام في الاعتقاد الذي أساسه عدم التوحيد باللَّه سبحانه ، وعدم الإيمان باليوم الآخر (موت القلب) .

٢ - أنواع من الفساد في الاعتقاد وفي الإرادة (مرض القلب ، مرض شبهة ، ومرض شهوة) .

٣ - النفس الأمارة بالسوء .

٤ - الشيطان .

وهذا لا يعني أن الإنسان المؤمن التقي لا تعرض له المشكلات ، فكما سبق الذكر أن النسق الإنساني إذا كان سليمًا تمامًا في وظائفه الغائية ، وأصابه خلل في وظائفه

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، مرجع سبق ذكره ، (٢٧/٣ - ٣١) .

(٢) ابن رجب الحنبلي ، ابن القيم ، أبو حامد الغزالي ، تزكية النفوس وتربيتها كما يقرره علماء السلف ، تحقيق : ماجد بن أبي الليل ، جمع وترتيب أحمد فريد ، بيروت ، دار القلم ، (د.ت) ، (ص٧٣ ، ٧٤) .

الوسيلية ، فلا شك أن هذا الخلل ينتج عنه مشكلات . فالرسول صلوات اللَّه عليه ذو القلب السليم ، الذي تغلب على نفسه ، وتغلب على شيطانه فجعله مسلمًا - كما ورد في الحديث الشريف [١] - كان يتعرض للعديد من المشكلات مثل : أذية المشركين له ، ونقص في الموارد المادية ، والمرض ؛ إلا أنه بفضل اللَّه عليه كان يواجهها بقوة وثبات . وإذا كان هذا حال الرسول ﷺ الذي اصطفاه اللَّه على العالمين ، فإن حال الصحابة والصالحين كان قريبًا من حال الرسول ﷺ بدرجة أو بأخرى . ولعل الموقف الذي تعرَّض له الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر عندما كانا مختبئين في غار ثور هربًا من المشركين ، وشعور أبو بكر بالجزع ، فطمأنه الرسول ﷺ بقوله : « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما** » [٢] . ولقد قال تعالى في ذلك : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] . يوضح هذا الموقف قوة وسكينة الرسول ﷺ أمام جزع وحزن أبي بكر ، فالاستجابة للموقف وللمشكلة الواحدة اختلفت لاختلاف ثبات قلب كل منهما .

والنظر إلى المشكلات الفردية من المنظور الإسلامي لا بد أن يعتمد على قاعدتين أساسيتين هما :

١ - أن اللَّه تعالى هو مالك الضر والنفع ، وأنه المتصرف في خلقه بما يشاء لا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائه . يقول ﷻ : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٧ ، ١٨] .

٢ - قول اللَّه ﷻ : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [النساء : ٧٩] يقول الطبري في شرح هذه الآية : « ما يصيبك يا محمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل اللَّه عليك ، وما أصابك من شدة ومشقة وأذًى ومكروه فمن نفسك ، يعني بذنب استوجبتها بما اكتسبته نفسك [٣] أي بذنبك وأنا الذي قدرتها عليك » [٤] ، وعن قتادة : « ما أصابك من حسنة فمن اللَّه وما أصابك من سيئة فمن نفسك عقوبة يا ابن آدم بذنبك » . وذكر أن الرسول ﷺ كان يقول : « **لا يصيب رجلًا**

---

(١) أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، مرجع سبق ذكره ، (م٤) ، كتاب المنافقين ، باب (١٦) .
(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، (م٨) ، كتاب التفسير ، (ص٣٢٥) .
(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، مرجع سبق ذكره ، (م٤) ، (١١١/٥) .
(٤) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، مرجع سبق ذكره ، (جـ١) .

خدش عود ولاعثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو اللَّه عنه أكثر » [١] .

وأخيرًا يجب ألا يُظن أن المنظور الإسلامي في تفسيره للمشكلات الفردية لا يأخذ في اعتباره البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد ، فلا شك أن للعوامل البيئية والتي أهمها التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي دورًا بالغ الخطورة ، والقول بأن الفرد هو نتاج بيئته قول صحيح إلى حدٍّ كبير من وجهة النظر الإسلامية ، فلقد جاء في الحديث الشريف : « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء ، حتى تكونوا أنتم تجدعونها** » [٢] فقلب الإنسان عند ولادته قلب سليم مهيأ لتوحيد اللَّه ﷻ فإذا ما نشأ في بيئة تحافظ على الفطرة السليمة وتنميها بتعليمه العلم النافع وتربيته على الأخلاق الحميدة والعادات الحسنة التي منها تعوده على التحكم في شهواته ورغباته لكي يتغلب على نفسه اللوامة ويكسب معركته مع الشيطان ، فإنه يمكن أن يكون بذلك عبدًا صالحًا ، يقوم بما كلفه اللَّه ، ويلجأ إلى اللَّه عند تعرضه للمشكلات مع أخذه بالأسباب . أما إذا نشأ في بيئة لم تحافظ على صفاء قلبه وسلامته ، وانحرفت به في أي اتجاه آخر غير الإسلام للَّه وتوحيده ، فإن قلبه سيمرض أو يموت غالبًا ، وعندما يتعرض للمشكلات سوف يلجأ لغير اللَّه . وقد يشاء اللَّه غير ذلك ، فيهدي قلبه للإيمان ، واللَّه يفعل ما يشاء .

* * *

(١) أبو جعفر محمد بن جرير بن الطبري ، مرجع سبق ذكره ، (م٤) ، (١١١/٥) .

(٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مرجع سبق ذكره ، (م١١) ، (ص١١) .